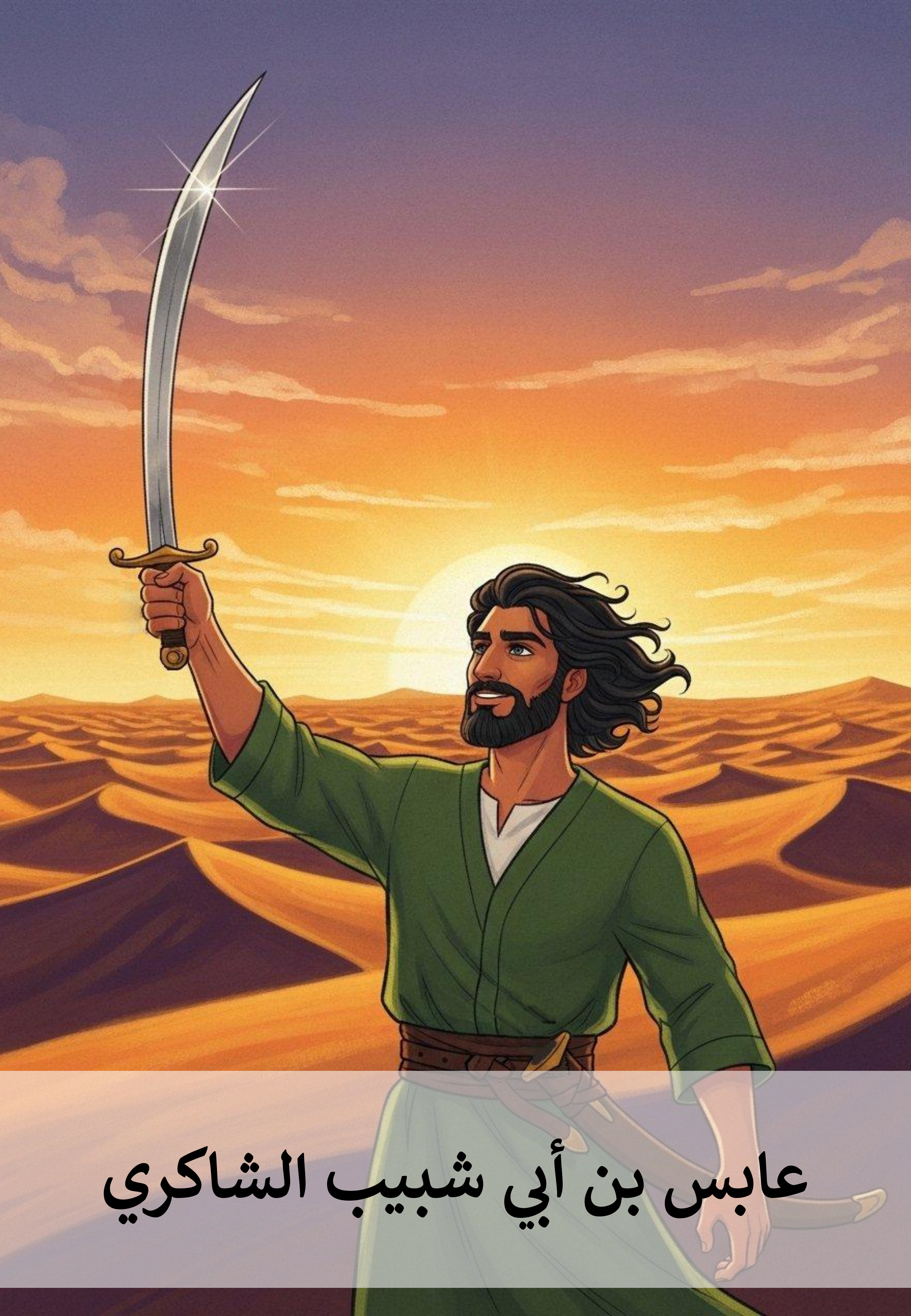


عابس بن أبي شبيب الشاكري

في زقاق ضيق من أزقة الكوفة القديمة، حيث تهمس الجدران بأسرار الشجعان، كان الصمت يلف المكان، لكن القلوب كانت تغلي بالولاء. جلس عابس بن أبي شبيب الشاكري أمام مسلم بن عقيل، سفير الإمام الحسين عليه السلام. كان عابس ينظر بتمعن في رسالة الحسين، وقد لمعت عيناه بعزم لا يلين. قال بصوت ثابت: "أنا معك يا ابن رسول الله، روحي وفدائي للحسين". لم يكن عابس يبحث عن جاه أو مال، بل كان يبحث عن الحق.



بعد رحلة طويلة وشاقة عبر الصحراء القاحلة، وصل عابس إلى أرض كربلاء. هناك، التقى بالإمام الحسين عليه السلام تحت وهج الشمس الحارقة. تقدم عابس بخطوات واثقة، وانحنى باحترام كبير أمام خيمة الإمام. قال له: "يا أبا عبد الله، جئتك من الكوفة بقلب يحمل حبك، وسيف يطلب نصرتك". ابتسم له الإمام، فكانت تلك الابتسامة هي الجائزة الكبرى التي يتمناها عابس طوال حياته.



في ليلة عاشوراء، كانت النجوم تشهد على أعظم قصة وفاء في التاريخ. جلس عابس مع رفيقه المخلص شوذب، وهو رجل شجاع شاركه سنين طويلة من الكفاح. كانا يتحدثان بصوت خفيض بجانب خيام المعسكر. قال عابس لشوذب: "يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع في الغد؟". أجاب شوذب بيقين وثبات: "أقاتل معك حتى أقتل دونك". تعانق الرفيقان تحت ضوء القمر، وكان عهدهما أن يكونا أول المضحين.



ومع بزوغ شمس يوم العاشر من المحرم، اشتد لهيب القتال. التفت عابس إلى رفيقه شوذب وقال له بلهجة ملؤها المحبة والإيثار: "يا شوذب، تقدم للقتال قبلي، حتى أحتسبك عند الله كما احتسبت غيرك من أصحابي، وحتى أفوز بأجر الصبر على فراقك". كان عابس يريد أن يقدم أعز أصدقائه قرباناً للحق، ليثبت أن حبه لله وللحسين يفوق كل صداقة دنيوية.



انطلق شوذب نحو الميدان كالأسد الغضوب، وعابس يراقبه بقلب ثابت ودعوات صادقة لا تنقطع. قاتل شوذب ببسالة منقطعة النظير حتى ارتقى شهيداً في سبيل الحق. وقف عابس ينظر إلى جسد رفيقه من بعيد، ولم تدمع عينه ضعفاً، بل لمعت فخراً وشوقاً. كان يعلم أن اللقاء قريب في جنان الخلد، وأن الدور قد جاء عليه الآن ليؤدي أمانة الحب والوفاء.



برز عابس إلى الميدان، وكان صيته يسبقه كواحد من أشجع فرسان العرب وأكثرهم هيبة. عندما رآه جيش الأعداء، تراجع الكثير منهم خوفاً من مواجهته وجهاً لوجه. وقف عابس وحيداً في وسط الساحة، يرفع سيفه عالياً وينادي فيهم بصوت هز الأرض: "ألا من مبارز؟". لكن الخوف تغلغل في قلوبهم، فصاروا يتجنبونه وينظرون إليه برعب من بعيد.



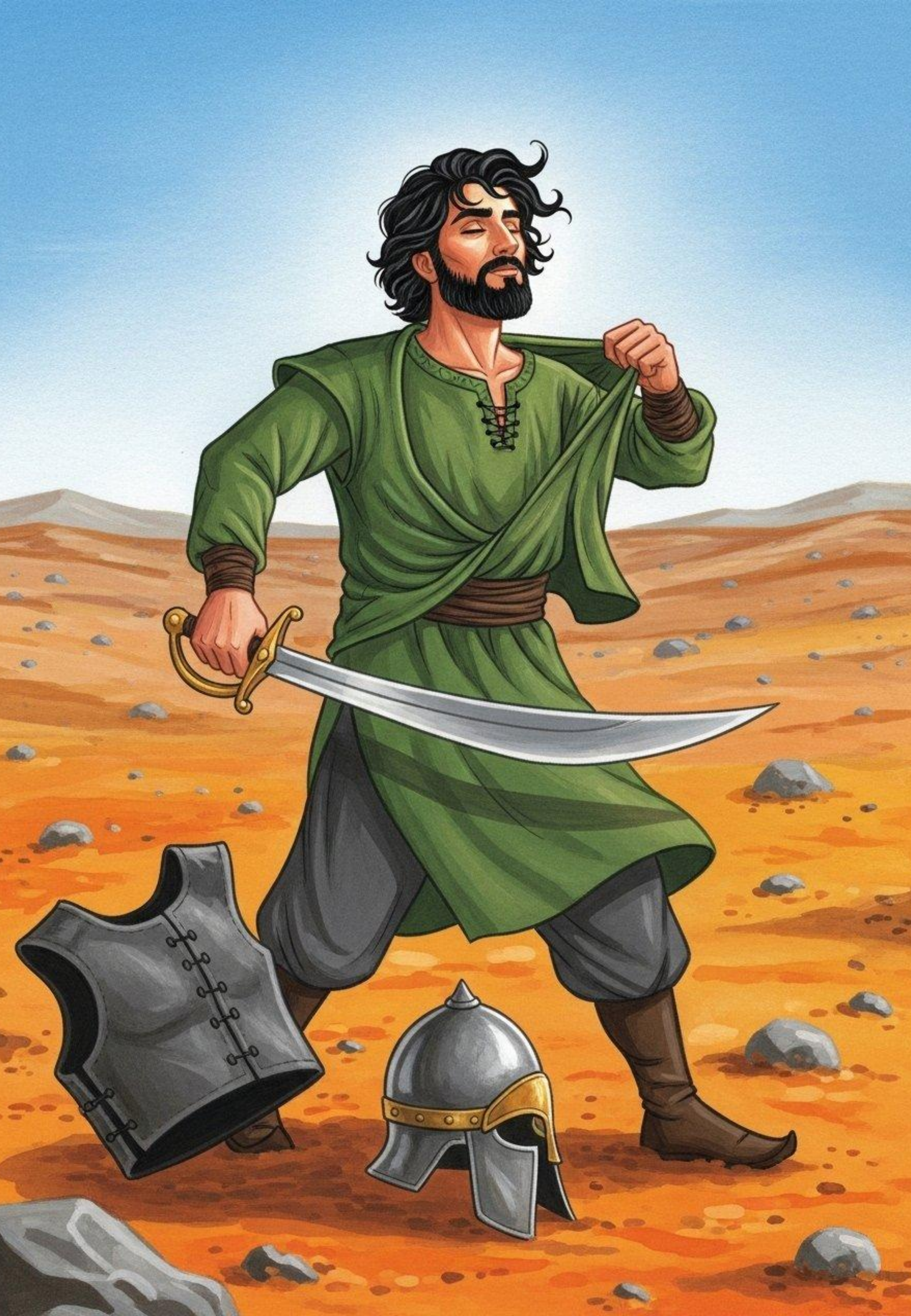
رأى جنود العدو أن عابس لا يهاب الموت، وأن سيفه يحصد كل من يقترب منه كالصاعقة. بدأوا يتراجعون إلى الخلف، يتهامسون بذعر عن هذا الرجل الذي يقاتل بروح لا تشبه أرواح البشر العاديين. كانوا مدججين بكامل سلاحهم ودروعهم الثقيلة، لكنهم كانوا يرتجفون أمام إيمان عابس وعزيمته التي لا تقهر، فما كان من قائدهم إلا أن أمرهم برجمه بالحجارة من بعيد.



في تلك اللحظة الأسطورية، شعر عابس بوهج من العشق الإلهي يغمر روحه تماماً. أراد أن يثبت للعالم أن الحسين ليس مجرد قائد، بل هو نبض قلبه وسبب وجوده. فجأة، وبحركة أذهلت آلاف الجنود، بدأ عابس بنزع درعه الثقيل، ثم خلع خوذته وألقاهما جانباً على الرمال. وقف بصدر مكشوف أمام السهام والحجارة، غير مبالٍ بالموت الذي يحيط به.



صرخ أحد الأعداء بتعجب وذهول: "أجننت يا عابس؟ تخلع درعك في وسط الحرب؟". التفت إليهم عابس والابتسامة تعلو وجهه النبيل، وقال كلمته الخالدة التي ترددت أصداؤها عبر القرون: "نعم.. حب الحسين أجنني!". لم يكن جنوناً عقلياً، بل كان جنون العشق الرفيع الذي يجعل الإنسان يرى المحبوب أغلى من حياته ونفسه وكل ما يملك.



اندفع عابس نحو جيش الأعداء كالبرق الخاطف، يقاتلهم بلا درع يحميه سوى إيمانه العميق. سقط عابس بطلاً شهيداً، مخلفاً وراءه درساً لا ينسى في معاني الوفاء. لقد علمنا عابس أن الحب الحقيقي هو تضحية بالذات، وأن الشجاعة هي أن تقف مع الحق حتى لو كنت وحيداً. بقيت كلمته "حب الحسين أجنني" وساماً خالداً لكل من يبحث عن صدق الانتماء.



النهاية

عابس بن أبي شبيب الشاكري

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م